

<https://www.alhurra.com/a/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%82%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9/515129.html>

<https://www.alhurra.com/a>/الفينيقيون-بين-الخيال-والواقع/٥١٥١٢٩

حسين عبد الحسين:

جدد بعض اللبنانيين خطاباً شوفينياً (؟) حول هويتهم التي يتصورونها فينيقية بحتة، وأثاروا بذلك سخط لبنانيين آخرين لا يرون في هذه الهوية إلا برنامج سياسي عنصري بدأ مع قيام دولة لبنان قبل قرن (لأن منذ قرن أيضاً بدأ برنامج سياسي عنصري آخر وهو العروبة بعد الـ ١٣٠٠ عام من "الإسلام دين ودنيا"، وبمشاركة مسيحيين مضللين محاولين سحب المسلمين من دنياهم الإسلامية نحو العلمنة)، وكان يهدف إلى فصله عن العروبة وإصاق العروبة بالمسلمين (آخر عرب مسيحيين كانوا الغساسنة الذين انتقوا منذ ١٢٠٠ عام، والإسلام جعل من العربية لغة منزلة ولغة الله وأهل الجنة وأن كل من يتكلمها فهو عربي، والعروبة جعلت من جميع اللهجات المحكية من الخليج إلى المحيط لهجات من اللغة العربية ما لا يصح سوى للهجات قبائل البادية والخليج (وليس اليمنية وربما ليس الحجازية حتى)، ذلك وفق معاهد اللغات في العالم؛ أما لبنان فهو مصطلح جغرافي، وتبنى تسميته مسيحو جبل لبنان للتمايز عن المحيط الإسلامي إبان الفتح مع يوحنا مارون و"كنيسة لبنان الحرة" وفق الأرشيفات العالمية، وبالتالي ليس كل شعبه ضرورةً عربي؛ وإذا تم إصاق العروبة بالمسيحيين والدولة، أصبح جرماً فصلها عنهما؟ وطالما ليس كل الشعب عربي، فلا تستطيع أن تكون الدولة عربية رغم أنها تستطيع أن تتشارك والدول العربية الأخرى أموراً عديدة: فلبنان عضو في منظمة الدول الإسلامية والفرنكوفونية، لكن هل الشعب كله مسلم أو فرنسي؟)، ودعوة اللبنانيين، من المسيحيين والمسلمين، إلى العودة إلى الجذور، والتمايز عن المحيط العربي والإسلامي (نعم هنا الخطأ بدعوة المسلمين إلى الانفصال عن محيطتهم وكأن جذورهم ودنياهم هي اللبنانية الفينيقية الكنعانية بينما دنياهم هي إسلامية مع ما يُعتبر ثقافة عربية وراجع ميشال عفلق مؤسس البعث وكمال جنبلاط حول التصاق العروبة بالإسلام).

وربط فينيقيو القرن الماضي أنفسهم بالمعسكر الديمقراطي الرأسمالي (لم يكن بديل لهم إلا العالم الغربي بما هو عليه وبعلله، لمواجهة العروبة)، ضد العروبة الشمولية الاشتراكية (العروبة كانت قد باتت الاسم الآخر لدنيا الإسلام، وما دخلهما بالاشتراكية؟ ولماذا اختار المسلمون الاشتراكية العلمانية لا بل الشيوعية الملحدة؟ إذن لا تلوموا الفينيقيين)، وأصروا على اعتبار هويتهم أوروبية (لا يقولون أنهم أوروبيون بل انهم يتشاركون العمق الوجداني والدنيا نفسها، لأن الفينيقيين والسريان والأشوريين والكلدان والأقباط والأرمن (ولا نضيف "بعض العرب"، فنلاحظ انتقاء وجود عرباً اليوم، بمعنى عرب الجزيرة والبادية، خارج الإسلام) كانوا جزءاً لا يتجزأ مما يعتبر العالم المسيحي اليوم والذي كان العالم الفارسي - المشرقي - الإغريقي - اللاتيني قبل الفتح الإسلامي، حيث غيّر الفتح الإسلامي وجه المشرق وأفريقيا الشمالية بسرعة قياسية حيث باتوا جميعهم أقليات غير فاعلة، سوى الفينيقيون في لبنان الذين كانوا قد أصبحوا دينياً مسيحيين ومذهبياً موارد وتحصنوا في الجبل وتمكنوا من الصمود كونهم متراسين جغرافياً حتى أخذوا امتيازاتهم ولاحقاً تمكنوا من تأسيس لبنان الدولة بحدوده الحالية حيث لهم تأثير سياسي عليه، وبهذا هم المكوّن الوحيد الفاعل سياسياً من الخليج إلى المحيط مما تبقى من المشرق الذي كان مرتبطاً بأوروبا)، أو على الأقل متوسطة، لتصورهم أن الفينيقيين تماهوا مع الإغريق والرومان إلى أن اجتاحت العرب والمسلمون المشرق، بما فيه فينيقيا، واحتلوه وعربوه وأسلموا غالبية سكانه، وهو احتلال دأب الفينيقيون على "مقاومته" (عذراً إنما هذه قمة

الوقاحة، وإنّ ربما غير مقصودة بسبب غسل الأدمغة الحاصل، فهل التاريخ جاء بعكس هذا؟ كيف يكون فتح وتكون أسلمة بالافتتاح؟، وذلك بإعادة إحياء الفينيقية وتاريخها وأبجديتها ولغتها وحدودها (إذا استثنينا الحدود، ما الخطأ؟ هل يجب أن يتقاعسوا في استعادة تسمية هويتهم التي يعيشونها والتي تفسر عدم انصهارهم بالعروبة ما أودى إلى تصادم مستمر مع المسلمين؟).

الفينيقيون، لم يتسموا بهذا الاسم بل وصفوا أنفسهم بالكنعانيين أو الصيونييين أو السوريين أو القرطاجيين. (جميعهم كنعانيون؛ "فينيقي" هي تسمية يونانية؛ العبرانيون وربما الآراميون وشعوب غور الأردن (أموريون، وأحفادهم الإيدوميون، العمونيون والمؤبيون) خرجوا من فلك الكنعانية وأسسا ثقافتهم الخاصة خارج الحضارة الكنعانية التي انحصرت نطاقها في لبنان (وطرطوس) بعد أن كان من أوغاريت (قرب اللاذقية) إلى غزة مروراً بحمص والبقاع وأورشليم (باللغة الكنعانية) (القدس باللغة العربية). القرطاجيون هم أحفاد السوريين (هم أسسوها). تسمية صيدوني وصورى كانت تأتي فترة بزوغ إحدى المدينتين). نعم من يقول أنه فينيقي مخطئ وعليه القول أنه كنعاني. هذا أيضاً نتيجة طمس المعطيات).

وفي العقود الماضية، راح بعض الأكاديميين يبحثون عن جينات الفينيقيين لفصلها عن جينات المحيط العربي (لأن أتحف العروبيون الكنعانيين بأن الأخيرين جاؤوا من الجزيرة (ساعة بحجة هيرودوتس وطوراً بحجة أخرى) وإذن بأنهم عرب وبالتالي بأنه يجب أن تكون هويتهم عربية رغم أن حين انطلاق الكنعانيين لم تكن العروبة قد وجدت بعد!)، وراح بعضهم الآخر يشير إلى تماثل أباطرة رومان من جذور سورية (صحيح أن إبلاغابالوس من حمص والكسندر سيفيروس من عرقا في عكار وسبتيميوس سيفيروس كنعاني قرطاجي وهم من فرد عائلة إذا احتسبنا القربى عبر الزواج)، ويقول إن "ملاح وجوه" هؤلاء الأباطرة تظهرهم أوروبيين متوسطيين لا عرب (على الهامش، أحد المشاكل يكمن في تحديد من هم العرب: بالعلم، العرب هم سكان البادية في الجزيرة (دونما الحجاز واليمن) وبادية الشام؛ أما الحجازيون بالتحديد، فهم علمياً ليسوا عرباً ومن يعرف الاستنباط الإسلامي فيما خص العدنانيين يعرف أن الحجاز كان بمعظمه قبائل عدنانية أي أنها لم تكن عربية في الأصل و"اعتبرت مستعربة"، وهذا صحيح، فالحجازيين كانوا من ٣ شعوب: القيداريين، والدادانيين والثموديين، وهم غير اعرب في قلب البادية، مهما قالت المراجع العربية؛ أما اليمن فلم يكن عربياً أيضاً لكن اعتُبر بفعل الاستنباط هذا معقل القحطانيين أي العرب الأصليين، لكنه كان مؤلف من ٥ شعوب: الحميريين والحضرمييين والسبئيين والمعينيين والقنانيين؛ المهم أن تحديد الهويات لا يجب أن يحصل عبر المظهر والجنات لكن الأكاديميين كانوا يبحثون عن أية وسيلة ليُفسروا عدم عروبيتهم بالمعنى المعتمد حالياً للعروبة).

وفي الآونة الأخيرة، ظهرت في لبنان حركات سياسية تسمي نفسها فينيقية، ولكنها عدّلت فينيقيتها لتناسب مع تحالف قادة لبنان مع نظامي سوريا وإيران، فلم تعد فينيقية لبنان فحسب، بل صارت تشمل محافظات اللاذقية وحمص السورييتين، وعكا وصفد في فلسطين، إسرائيل اليوم، لترتفع مساحة لبنان من 10452 كلم مربع حالياً إلى ١٨٨٠٠ بإضافة المناطق "المسلوخة"، وهي مناطق إما يسيطر عليها نظامي سوريا وإيران، أو تسعى مليشيات لبنانية موالية لإيران لاستعادتها من إسرائيل. (هذه كانت بلاد كنعان، ولبنان التاريخي الذي هو تقريباً لبنان اليوم، كان جزء منها؛ انحسر الكنعانيون لاحقاً ضمن لبنان التاريخي منذ ١١٩٠ ق.م. (مع طرطوس / أرواد)، وضمن جبل لبنان منذ الفتح الإسلامي (باستثناء الروم الذين باتوا ذميين خارجه). جزء من الكنعانيين أسلم وخرج من فلك الكنعانية الشرقية إلى دنيا الإسلام وعروبتها. إنما عند استعادة الكنعانيين (المسيحيين اليوم) للبنان "الكبير"، ضموا سكان من غير ثقافة ودنيا (الأغلبية المسلمة في الشمال والبقاع والجنوب والساحل) في دولة مركزية فحصلت الحروب؛ لو اتحد المكونات في دولة فدرالية لتفادينا الصدام؛ وهكذا، إذا ضم المسيحيون اليوم تلك الأراضي في سوريا وفلسطين لاستعادة بلاد كنعان، فسيزيدون الطين بلة عليهم (إلا إذا كان هذا ضمن اتحاد فدرالي، ونقول هذا بغض النظر عن موضوع الصهاينة ومشكلتهم)؛ أما عن تحالف الحركات التي تسمي نفسها "فينيقية" مع المحاور، فلا أعرف من هي أصلاً ولا أدافع عنها).

وتعطي هذه الحركات الخيار للمناطق "المسلوخة": إما أن تنضم إلى لبنان، أو تبقى خارجه، وتعد بتشديد حائط بكرّس نهائية الوطن الأم، ويضم أي مناطق مسلوخة تقرر العودة. أما تشييد الجدار، فهدفه إبقاء "المخربين" الفلسطينيين والسوريين، ممن لجأوا إلى لبنان خارجه. وهذه مفارقة ظريفة، إذ لا يلاحظ فينيقيو لبنان أن اللاجئين الفلسطينيين والسوريين في لبنان نزحوا فعلياً إما من مناطق الجليل، أو من مناطق سورية محاذية للبنان، وهذه المناطق يفترض أنها فينيقية "مسلوخة" عن لبنان. (لقد أجبنا على ذلك أعلاه ونعم، هذا الفكر كله "غلط"، وخاصةً أن معظم السوريين والفلسطينيين مسلمون والفينيقيين مسيحيون.)

ولو وضعنا جانباً "الولدانات" حول إعادة إحياء فينيقيا (إذن هي ولدنة أن نعيد إحياء دولة الخلافة الإسلامية من المحيط إلى فارس، أم إعادة الأندلس، وبهذا يسقط جوهر الإسلام بسقوط أساس العقيدة!)، الصغرى أو الكبرى، جينيا أو حدوديا، ونظرنا إلى التاريخ الفينيقي بشكل أكثر حيادية وأقل عنصرية، لبدأ لنا أن أبرز مشكلة في التاريخ الفينيقي هو شحّه (طبعاً الشح بديهي عندما نطمس الحقائق ولا نعلمها في المدارس)؛ فبقايا اللغة نادرة ومبعثرة (في معاهد اللغات العالمية، اللهجة اللبنانية هي من اللغة الكنعانية (المسمات خطأ بالأرامية)؛ من الناحية العلمية تطعمت الكنعانية - اللبنانية بالسريانية والعربية ولغات أخرى منذ العام ٤٠٠ م. كما أنها طعمت هي السريانية بقوة قبل ذلك؛ وسابقاً، لم تطعم الكنعانية العربية على مدى ١٥٠٠ عام فحسب بل العربية انبتت من الكنعانية القديمة (إلا في الفقه الإسلامي حيث تعتبر منزلة)، كما العبرية. من ناحية اللغة الفصحى والأبجدية الكنعانيتين المسمتين "أرامية" التي مثلاً كتب متى انجيله بواسطتهما، فأطاحت بهما السريانية لأنها اعتبرت لغة المسيح، ولاحقاً أطاحت العربية بالسريانية بالضغط الإسلامي المحيط؛ نعم إن أي مسعى لإعادة استعمال الأبجدية الكنعانية يحتاج لإعادة هيكلة عنصرية لكن هذا ليس صعباً كثيراً (ألم يغير المسلمون الفرس ابجديتهم إلى العربية، والأترك إلى الأجنبية؟)؛ أما اللغة الكنعانية فنحن نتكلمها كما أشرنا، وهي الـ"دارج"، ولم تصلنا أعمال كتّاب فينيقيين بشكل مباشر (لأنهم كتبوا على "مواد" يتلفها الزمن، إنما كل ما هو اسمه لغة وحرف آرامي - امبريالي اليوم هو كنعاني - فينيقي في الحقيقة، وفق المعاهد العلمية، وهذه الحقيقة ظهرت حديثاً حوالي عام ٢٠٠٢، والنقوش وفيرة) (طبعاً دون أن يشمل هذا ما هو سرياني)، بل غالباً في اقتباسات يونانية، أو في انتقادات عبرانية. ثم أن الفينيقيين لم يكونوا أوروبيين (صح)، بل هم كانوا أعداء أوروبا (الأوروبيون كانوا أعداء أنفسهم أيضاً وأحياناً تعادى الفينيقيون فيما بينهم)، وخاضوا معارك ضارية ضد الإغريق، وبعدهم الرومان (ممكن استبدال "أوروبا" بـ "عرب" في هذه الجملة وتبقى الجملة صحيحة).

والفينيقيون، الذين لم يتسموا بهذا الاسم حسب الدلائل المتوفرة بل وصفوا أنفسهم بالكنعانيين أو الصيّدونيين أو السوريين أو القرطاجيين (شرحنا هذا أعلاه)، ظهوروا على مسرح التاريخ قبل ١٢٠٠ عاماً من الميلاد (في هذا التاريخ بدأت تسمية الكنعانيين بـ "فينيقيين" من قبل اليونانيين نسبة للون الصباغ الأرجواني، لكنهم كحضارة ظهوروا نحو عام ٣٥٠٠ ق.م.)، واندثر آخر وجود لهم، وهو البيوني المتأثر بروما ("بيوني، أو بوني"، هي تحريف روماني لفينيقي: Punic و Phoenician، الجذر P/Ph-n-c)، بعد ٢٠٠ سنة من الميلاد (هذا وفق المدرسة القديمة في التاريخ، وتتالت التسميات الخاطئة بحقهم، فسمى اليهود اللغة الكنعانية بـ "أرامية" فباتوا آراميين، وسماهم اليونانيون "سريان" صوب ٤٠٠ ميلادي فباتوا سريان (ولن ندخل في موضوع السريان منذ ٥٠٠ ق.م.)، وفرض الإسلام مواجهة دينية فباتوا "المسيحيين" وتحديداً "الموارنة" لمعظمهم في الجبل واختلطت الأمور)، أي أن حضارة هؤلاء الكنعانيين امتدت حوالي ١٤ قرناً، وهو ما يعادل عمر الحضارة الإسلامية اليوم (منذ الفتح الإسلامي توقف الكنعانيون عن أية مساهمة فعالة بالحضارات بسبب محاصرتهم في الجبال مدة ١٣٠٠ عاماً؛ وعادوا إلى ذلك منذ الهجرات "اللبنانية" المسيحية بأكثريتها الساحقة إلى العالم الجديد منذ أواخر الـ ١٨٠٠ وبزوع "الإبداغ اللبناني"؛ اتركوا لهم المجال فقط). وهو ما يعني أنه يستحيل حصر ألفية ونصف من الزمن في شكل ثقافي أو لغوي أو تاريخي واحد (ليش الإنكليزي، والمسلم - العربي ابن الدولة الإسلامية والتاريخ والثقافة الإسلاميين والمقترون باللغة العربية هم غير أسلافهم، مش من ١٥٠٠ عام؟ إذا هيك يعني المسلم العربي بطل مسلم - عربي! طبعاً الثقافة واللغة تتطوران، لكن جوهرهما ومخزون الشعب التاريخي يتراكم ضمن إطار معين يميزه عن غيره)، فعربية اليوم مثلاً تختلف جذرياً عن عربية القرآن وقريش (هل نحن بجو "تنكيت"؟ العربية الفصحى هي عربية القرآن كما هو مكتوب اليوم، فالفصحى هي هي منذ ١٤٠٠ عام بسبب عدم جواز تعديلها كونها لغة "منزلة في الإسلام"! طبعاً نعلم أن القرآن كتب في البداية بحروف عربية دون نقاط ودون تحريك لكن هذا موضوع آخر هامشي نسبةً للفكرة ههنا)،

وعربية المشرق تختلف عن عربية المغرب (شرحنا الفرق في اللهجات واعتبارها عربية خطأ)، وهكذا، لا بد من اعتبار أن الفينيقية تغيرت مع الزمن (صح)، وتتنوعت في صيغها المحكية (كمان صح) بحسب انتشار من تكلموها (أكثر، بسبب التفاعل البشري مع محيطهم المتقلب) (تكلم غير الفينيقيين الفينيقية، وتحدّر البعض في المتوسط من نسب فينيقي اختلط مع المحليين هنا وهناك لا يجعل تلك البلاد فينيقية؛ تمتد فينيقيا جغرافياً بامتداد رقعة من يحمل لواء حضارتها، ولو مش مبين كثير اليوم، لكن الأرززة تكفي، ورقعة فينيقيا اليوم هي مناطق الكثافة المسيحية والأقليات خارجها التي استمرت بعد الفتح، كل هذا ضمن لبنان فقط _وطرطوس)، فالأرززة إرث فينيقي اعتمده الفينيقيون أيضاً عندما تحولوا من الوثنية إلى المسيحية، ولم تعتمد الدنيا الإسلامية - العربية، ومن هو مسلم ويفتخر بأرززة لبنان، فهنيئاً لنا وله إنما هذا ناتج عن محاولة المسيحيين "لبننته" فتم غسل دماغه)، ولا يمكن اعتبارها بلداً واحداً ذات حدود ثابتة (صح، إذن الحدود اليوم هي من بشري حتى المتن الشمالي وساحل بعيداً؛ أي إذا لا سمح الله حصل تقسيم بدل الفدرالية، ستكون عفوياً تلك المنطقة حدود الوطن "المسيحي"؛ وإذا حصلت فدرالية، فستكون عفوياً تلك المنطقة هي المحافظة "المسيحية").

ومن المتوافق عليه أن الكنعانيين في ساحلهم عانوا من ضيق المساحات الزراعية، على عكس الأشوريين والبابليين والمصريين. على أن غابات المشرق قدمت للكنعانيين أخشاباً مكنتهم من صهر المعادن وصناعة سفن ضخمة بسبب علو شجر الأرز والصنوبر لا جودته (الأرز اللبناني هو الوحيد بين الأصناف الستة في العالم "الفائق الصلابة") (يزن ٢,٤ مرة أكثر من السنديان، أما الأصناف الـ ٥ الباقية فهي "صلبة" فقط)، والمضاد للمياه؛ أما في العلو فهناك ٣ أصناف ترتفع ٥٠ متراً وهو واحد منها) مقارنة بسفن مصرية حجمها محدود بسبب قصر الأشجار في حوض النيل.

وأفاد الكنعانيون كذلك من هدوء البحر المتوسط، مقارنة بالمحيطات (هم أصلاً بعيدون عن المحيطات إنما وصلوا إلى الأطلسي والهندي) (ذهبوا أيضاً برّاً وبحراً من العقبة فالحجاز إلى اليمن والخليج وربما الهند (مناصرو الاحتمال الأخير يعتمدون على الإثبات أنهم أعطوا الأبجدية البراهمية التي تتحدّر مباشرة من حرفهم، نحو عام ٦٥٠ ق.م. (أو ٤٠٠ ق.م. وفق البعض))، ومن أنه بندر أن تبحر السفن في نقاط لا يمكن رؤية البرّ منها. هكذا، أتقن الكنعانيون الإبحار، وتحولوا إلى وسطاء بين الحضارات، الأشورية والمصرية واليونانية وغيرها، وأقام كل من كياناتهم السياسية، التي لم تتوحد يوماً، ثلاثوقراطية، أي دولة تتألف من مدن ساحلية مرتبطة ببعضها بأسطول (لم يكونوا حتى دولة واحدة، فكأنت كل مملكة على حدا، حتى أنها كانت تصك كل واحدة عملتها؛ وهذا يعطي الحرية القصوى لأبناء هوية واحدة، فلا ضرورة أن يكون الحكم دائماً مركزي؛ والفينيقيون عشاق للحرية، منذ أن كانوا وثنيين حتى باتوا مسيحيين. ملوكهم لم يكونوا دكتاتوريين لأنهم كانوا يخضعون لمجلس أعيان عكس ملوك المحيط المؤلّهي. طبعاً من أصبح منهم روم كانت له ظروف القاهرة أجبرته بالذمية؛ أما الموارنة، فاستطاعوا الصمود في الجبال، مع أقلية رومية).

وبسبب ثقافتهم كوسطاء وتجار، لم يتوان الكنعانيون عن نقل واستخدام لغات الآخرين وثقافتهم وعلومهم وتطويرها، فاختصروا هيروغليفية كان عثروا عليها في سيناء، وأنتجوا منها أبجديتهم، التي أخذها عنهم اليونان مع علوم أخرى كثيرة، كالفلك والإبحار والفلسفة والرياضيات (صح، مش غلط ياخدوا شي ويطوروه، بس قصة انبثاق الأبجدية من الهيروغليفية أسقطها العلم: مثلاً على ذلك، إن الدابة والسيارة وسيلتا نقل، لكن لم تنبثق السيارة من الدابة، وما وجد في سيناء ليس بهيروغليفية، واسمه بروتو - كنعانية).

وعلى الرغم من المنافسة بين اليونان والفينيقيين، إلا أن اليونان أنفسهم عزوا الفضل في علومهم إلى الفينيقيين، ففثاغور كانت أمه فينيقية (أبوه فينيقي، أمه من ساموس، مدينة يونانية، بس مش مشكل، هويته كانت فينيقية أساساً)، (وقدموس (قدموس أسطورة، إنما زينون وماكوس وتاليس ويوقليد كلهم فينيقيين، صحيح) وهو اللفظ اليوناني لقدمون، أي الشرق (؟)) أقام أول مستوطنة يونانية في الطيبة شمال أثينا، ثم نقل الرومان عن اليونان (وعن قرطاج)، واستخدموا هذه العلوم للقضاء على السطوة القرطاجية في المتوسط (صح).

على أن قوة تانيت (تونس) لم تتلاش (حلو، ما كنت عارف)، ومع بداية القرن الميلادي السابع ثارت قرطاجة على القسطنطينية، واجتاحت مصر، وأوقفت التموين الغذائي المصري إلى بيزنطية، وخلعت بقوتها البحرية الإمبراطور فوقاس، واستبدلته بابنها الإمبراطور هرقل المونوليثي المسيحي، الذي انحاز للشرق ضد روما، والذي شكل الفينيقيون (هنا إقرار إذن بوجود الفينيقيين حتى مجيء الإسلام) والنبطيون (اختفوا بعد ٤٠٠ ميلادي! آخر مخطوطاتهم عام ٣٩٦ واكتشفت في الحجاز) والتدمريون والبابليون قوته المقاتلة. (أوكي، معلومات إضافية حلو، لكن كل هذا يبقى ضمن خلافاً داخل الإمبراطورية البيزنطية.)

وبعد موت هرقل وخلفه، عادت بيزنطية إلى المسيحية الخلقيدونية في العام 685، فانفضّ الشرقيون عن القسطنطينية وروما وأقاموا كنائسهم (مغالطات لكن الموضوع بدو شوية وقت وخارج جوهر هذا المقال فلن أدخل في التفاصيل)، كالمارونية في إنطاكية على يدي أول بطريرك ماروني يوحنا مارون (هو لم ينشق عن القسطنطينية فقهيًا بل عن أنطاكية الخلقيدونية التابعة للقسطنطينية سياسيًا بسبب هروب البطريرك الأنطاكي الخلقيدوني الأصلي إلى القسطنطينية عام ٦٣٨ إثر الفتح الإسلامي وبقاء أخلافه هناك، فانتخب بطريركًا من أساقفة جبل لبنان الأحرار من الفتح الإسلامي وبقي حامل لقب بطريرك أنطاكية الخلقيدوني (أي نفس الفقه لكن الموضوع كان إداريًا)، ومنذ عام ٧٠٢ توقف تعيين بطاركة أنطاكيين من الهاربين إلى القسطنطينية، حتى عام ٧٤٢)، وأقاموا دولهم، كالعربية الأموية في دمشق والقدس (أوووف: "الشرقيون أقاموا دولة عربية؟؟" الدولة الأموية كانت دولة إسلامية يرأسها خليفة "النبي" (دون الدخول في الخلافات الإسلامية)، ومن أقامها وصل إلى المشرق بفتوحات، والقدس "فتحها" عمر بن الخطاب؛ هم ليسوا "شرقيين"؛ ما هو عربي في الدولة تلك لا يعدو سوى لغتها الرسمية وبضعة أمور ثانوية، أما ثقافتها فكانت دنيا الإسلام؛ الوحيد الصح في هذا المقطع هو إقامة يوحنا مارون دولة مسيحية سماها "البنانية" في جبل لبنان مستقلة غير ذمية ولا تدفع الجزية، محاصرة من قبل الأمويين ومن خلفهم، ولم يعطه التاريخ حقه بعد)، وبقيت قرطاجة الفينيقية عربية (ما في "فينيقية عربية"، انتهت فينيقيتها لدى الفتح الروماني تدريجيًا بين ١٤٦ ق.م. و ٤٥٠ م. بذواب كنعانيها بالأمازيغ، وأصلًا كلمة "عروبة" غير موجودة في القواميس العربية الفلسفية (راجع كمال جنبلاط، في محاضراته عام ١٩٥٦؛ كل شي كان "إسلام" حتى ١٨٨٠، حتى بزوع ما اصطلاح على تسميته "النهضة العربية") مستقلة ذاتيًا، حتى ما بعد زمن الخليفة العباسي المأمون، منتصف القرن التاسع.

وكررت تونس ثورتها، فأطلقت الحركة المهدوية الاسماعيلية الفاطمية في القرن العاشر، وسيطرت - بقوتها البحرية كذلك - على شمال أفريقيا والمشرق (هذا شأن إسلامي داخلي لا علاقة له بالكنعانيين). ومع ظهور القوة البحرية الأميركية في القرن العشرين، لعبت تونس دورا في كبح القرصنة الجزائرية والليبية، فقامت صداقة تونسية أميركية وثيقة، حتى جاء زمن الحزبالات القومية العربية الناصرية. (أكرر، لا علاقة لتونس بعد اكتساح الفتح الإسلامي، بالكنعانيين.)

لم يُخلِ الفينيقيون مسرح المشرق وشمال أفريقيا يوما (نكرر، اخلوه في تونس وباقي حوض المتوسط بعد الاحتلال الروماني وفي طرطوس ومعظم لبنان بعد الاحتلال الإسلامي)، فتحدثوا بلسان زمانهم، الفينيقي والآرامي، فالإغريقي واللاتيني، فالعربي واللغات الغربية كالفرنسية والإنكليزية (كمان نكرر، ما زالوا يتكلمون في لبنان لغتهم الكنعانية التي أخذت مفردات من كل تلك اللغات، بعد أن أعطت لمعظمها مفردات من عندها سابقًا حين كانت مؤثرة، لكن قواعد اللغة المحكية وغالبية معايير تحديد اللغة ما زالت كنعانية بامتياز خاصة لدى المسيحيين. مفارقة: المسلمون يضعون مثلا همزة في فعل الأمر المحكي لمنع التقاء ساكنين، الذي هو قاعدة عربية أدخلوها رغم تكلمهم الكنعانية أيضًا اليوم (اللهجات اللبنانية والسورية والفلسطينية هي كنعانية - موضوع كبير خارج الردود هنا)، والتقاء الساكنين هو في صلب القواعد الكنعانية النموذجية أي ال Standard Variety، كما ال o وال é أحرف علة كنعانية غير موجودة في العربية (أمثلة على سبيل المثال لا الحصر)). الفينيقيون ساهموا في صناعة التاريخ، بما في ذلك صناعة عروبة الأمويين وإسلام الفاطميين (أبدأ، ليش تا يطلعن شي مش عاملينو، كيف؟ عدا انبثاق اللغة العربية من الفينيقية القديمة وتأثير الفينيقية على العربية بعد نشأتها؛ أوكي فالفينيقية صنعت شيء مهم من اللغة العربية وصقلتها). هم أثروا بحضارة الآخرين، والآخرون أثروا بحضارتهم، التي تتخذ أشكالًا متعددة اليوم - عربية، مشرقية (إذا المشرقيين عملتوهم عرب، مين مشرق لكان؟؟) وشمال أفريقية، وإسبانية ومالطية (وجود جينات لا يعني وجود

هوية)، وغيرها - حول حوض المتوسط وفي جزره (لم يبق خارج لبنان (سوى جاليات الاغتراب) أية آثار لشيء من الفينيقيّة (أي الكنعانية لنعود للمصطلح العلمي)؛ وهي في لبنان ما زالت كنعانية مؤمنة بالأرزّة لدى المسيحيين؛ فالكنعاني الذي أسلم نكرّر أنه خرج من فلك حضارته ودخل فلك الثقافة اسلامية (أي الدنيا، عدا الدين) - العربية (ومساهمة العربية خجولة جدًا _ إذا استثنينا اللغة وبعض العادات _ في الثنائي).

ربما لم يورث الفينيقيون اللبنانيين معالم إمبراطورية واضحة (نوعًا ما "نعم"، وهي كانت تمتد من أرواد حتى صور منذ ١١٩٠ ق.م. حتى ٦٣٤ م. حين وصل الفتح الإسلامي فغيّر الثقافة برمتها، ما لم يفعله المحتلون السابقون)، ولكنهم أوروهم عادات التأقلم في أي محيط (صح)، وتبني أي لغة (صح) (والإبداع، ودون انتقاص من المسلمين إنما بصراحة وللأمانة نلاحظ أن تلك هي سمات عائدة بشكلٍ بارزٍ للبنانيين المسيحيين (وقلة من المسلمين الملبنين، ونقول علميًا، مكنعنين)، وهم أيضًا الأكثرية الساحقة من المتحدرين اللبنانيين في بلاد الاغتراب؛ والأقلية المسلمة في هذا المجال هي بفعل احتكاكهم بالمسيحيين منذ تأسيس الجمهورية اللبنانية؛ فكل إنسان قادر على الإبداع، إنما دنيا الإسلام هي، كال كثير من ثقافات شعوب العالم، لا تسمح بهذه السمات بسهولة)، وهي العادات نفسها التي أدت لاندثار الفينيقيّة القديمة (صح اندثرت القديمة لكن حلت مكانها أخرى حديثة، هويتها تتبلور في الوجدان وليست قانونيًا وشرعيًا أقله حتى اليوم، بسبب حاجة صمودها ضد المحيط وأخذها أشكالًا أخرى (دينية مثلا بفعل ضرورة مواجهة دين آخر، فبات يقال "مسيحي" بوجه "المسلم"، فالمسلمون لم يأتوا كعرب إنما كمسلمين). إنما خير برهان وجودها في الوجدان البيئـة "المسيحي" هو الانتفاضة المسيحية التي فاجأت المسلمين العربيين عام ١٩٧٥؛ فمن انتقض من مسيحي لم ينتفض بسبب معتقد ديني فحسب إنما بسبب نفس ثقافي - حضاري) وحلول لغة الزمان السائد مكانها (كما قلنا، اللغة هي هي بكنعانيّتها إنما تطورت وليست عربية)، وهي العادات نفسها التي أدت إلى تشكيل لبنان كدولة غنية بتنوع تراثها (ليست العادات نفسها تلك سوى الانفتاح الماروني على المحيط مذ أمن امتيازات تضمن حريته من الذمية وكان هذا عام ١٣٨٢؛ أضف الأسباب الأخرى كالحاجة إلى البقاع والساحل؛ أما قبل ذلك فتحصن الموارنة ٧٠٠ عام دون احتكاك مع المحيط؛ ولو لا مطالبة الموارنة بلبنان التاريخي وهو اليوم حدود الجمهورية، لما كان هناك تنوع، وأساسًا المسلمون لم يريدوا لبنان الكبير ولا التنوع بل الوحدة مع سوريا، صراحة، وهذا ليست محط ملامة أو عيب)، الذي توالى حضارات التاريخ على التأثير فيه حتى صار على حاله (كل الحضارات والثقافات ما قبل الإسلام أثرت على لبنان بكنعانيه كما أثروا هم بشكلٍ جذري بهم؛ وعندما انقسم لبنان منذ الفتح الإسلامي، عنى الإسلام المسلمين عندما وجدوا في لبنان وسواه، وعنى الغرب ما بعد مجيئ الإسلام (فترة الصليبيين، ومنذ فخر الدين وخاصةً منذ ١٨٦٠ وحتى اليوم) الكنعانيين الذين صمدوا في لبنان. هذا بشكلٍ عام. إذن لبنان ليس وحدة اجتماعية لتؤثر الحضارات عليه بشكلٍ عمومي بل هو بقعة جغرافية، والحضارات تؤثر على مكوناته، وهي متميزة عن بعضها. و"لبناني" اليوم هو ليس مصطلح "هوياتي" موحد بل مصطلح قانوني لمن يحمل الجنسية لدولة تمتد على الرقعة تلك. ولن ندخل الآن في معنى "لبناني" تاريخيًا إنما نكتفي بقول إنه المصطلح الذي تبناه يوحنا مارون للموارنة الذي تحصنوا في جبال لبنان مقابل الفتح الإسلامي، وكانت كنيسته اسمها "كنيسة لبنان الحرة"، حيث استخدم المصطلح الجغرافي بدل الاجتماعي (أي لم يسمها "الكنعانية أو الفينيقيّة").

أما انتزاع جزء من التاريخ، وتحويله إلى هوية فينيقية حصريّة لمناكفة العصبية الأخرى، فبرنامج سياسي، وضرب من القبلية، والاثنان إن دخلا على التاريخ، أفسداه، وأفسدهما (ألم تقم العروبة بهذا؟ فباتت العامية من اللغة العربية، والخبز اللبناني عربي، والمأزّة أكل عربي، وكل من لا يدغدغ وجدانه ما هو بعربيّ فيعتبر خائن... وتوقفت الأبحاث في التاريخ الفينيقي في الستينات، وكل ما له صلة بهم مطموس ولا يذكره كتاب التاريخ في المدرسة سوى بيضعة سطور. نعم، نرفض تحويل الموضوع ليفرض على من لا يعنيه، أي خارج المناطق "المسيحية" اللبنانية؛ إنما أن يدخل الموضوع ضمن برنامج سياسي ليفسر الهوية الدنيوية للمسيحيين (حيث الدين المسيحي عكس الإسلام ليس له دنيا) ويبني على أساسها التعددية يد بيد مع الإسلام - العروبة (تلك الثقافة العربية التي ألحقت بدنيا الإسلام)، من أجل ضمان حقوق الجميع بعيش هوياتهم بحرية مطلقة لا تقيدتها أي شريعة، فهذا حق من الله-نا (وليس الله المسلمين وفق الآيات القرآنية الناسخة) الذي خلقنا أحرارًا وتعدّدين.